مار الياس غزير
ثانويّة الرّاهبات الأنطونيّات

نور مارون النّاسك سيُشرق على أرضنا...

أحبّائي المربّيات والمربّينَ الكِرام، أهلًا وهيئتَين إداريّة وتعليميّة وأصدقاء ومعاونين،

لقد أُعطيَ لنا، أيّها الأحبّاء، نعمة العيش على إيقاع قدّيسين أبرار، نهجوا في الدّنيا نهجًا مغايرًا لنظام حياتنا المألوفة، إنسانيًّا وعائليًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا – إداريًّا ودينيًّا – روحيًّا، فأعلنوها ثورةً مطهّرةً، على ذواتهم أوّلاً، تنكّرًا لما لاقوه من انحرافات ومساوئ وظلم في سلوكيّات البشر، وزهدوا بكلّ زائلٍ فانٍ.

ولأنّهم أُخذوا بتعاليم المعلّم الإلهيّ، وآمنوا إيمان اليقين الّذي "ينقل الجبال" بإمكان استباق عيش ملكوت السّماء في دنيانا الحاضرة، اختارَتهم السّماءُ ليكونوا هم التّغيير المُرتَجى في هذا العالم؛ من الأنبا أنطونيوس كوكب البرّيّة، إلى مار افرام السّريانيّ نهر الفرات الرّوحيّ، إلى مارون النّاسك الّذي يبهجنا الاحتفال بعيده في التّاسع من شباط، وقد اتّخذناه شفيعًا ومثالًا في قداسة السّيرة، وقائدًا في بطولة الفضائل الرّوحيّة والفكريّة.

وما تشبَّثَ أتباعُ مارون بتراب لبنان، جبالًا وسهولًا ووهادًا، إلّا لأنّه جُبِلَ بعرق الأجداد ودمائهم وابتهالاتهم، ذودًا عن الكيان والهويّة والحرّيّة والعيش معًا بالوحدة في التّنوّع. تشبَّثْنا بوطن الأرز لأنّنا مؤمنون بقُدسِيّة وجوده إيمانَنا بقِدّيسيه!

فلو قُدِّر لمارون القدّيس أن يزور لبنان، اليومَ، ويرى الفقر والثّراء، التّعصُّب والتّسامح، الكفر والإيمان، فماذا تُراهُ يقول؟! هل يردِّد على مسامعنا قول الإنجيل: "لا تخَفْ أيّها القطيع الصّغير!"؟ هل يبكّتنا على قساوة قلوبنا وغباوة عقولنا، ويحزن حزنًا شديدًا على تشرّدنا كغنم لا راعي له؟ هل يُسائلنا عمَّا صنعنا بالثّروة الكبرى الّتي وهَبَتنا إيّاها يد العناية الإلهيّة؟ هل يغضب لأنّنا فرّطنا بالوطن الرّسالة، مهد الثّقافة العريقة وإحدى منارات البحر الأبيض المتوسّط؟

إنّ مارون النّاسك الّذي شغف بإنجيل الحياة واتّخذ كلامه دستورًا وطريقًا وغايةً طيلة جهاده الرّوحيّ، يقول لنا بلهجة الأب المؤدّب:

"أنتم ملح الأرض. أنتم نور العالم. فليُضئ نوركم للعالم أجمع".

"توبوا وآمنوا بالإنجيل فقد اقترب ملكوت السّماوات".

"لا تكنزوا لأنفسكم كنوزًا في الأرض... بل اكنزوا لأنفسكم كنوزًا في السّماء، حيث لا يفسد السّوس والعثّ، ولا ينقب السارقون فيسرقوا. فحيث يكون كنزك يكون قلبك".

"ما من أحد يستطيع أن يعبد ربّين الله والمال. "فلا تستطيعوا أن تعملوا لله وللمال".

"لا تدينوا لئلّا تُدانوا، فكما تدينون تُدانون، ويُكال لكم بما تكيلون".

"لماذا تنظر أيّها الإنسان إلى القذى الّذي في عين أخيك؟ والخشبة الّتي في عينك أفلا تأبه لها؟"
"فكلّ ما أردتم أن يفعل النّاس لكم اِفعلوه أنتم لهم: هذه هي الشّريعة والأنبياء" (متّى ٦ و٧).
"فكونوا رحماء كما أنّ أباكم رحيم" (لو ٦/ ٣٦).

أيّها الأحبّاء، اِقرؤوا هذا الكلام النّورانيّ من أسفار الإنجيل، وتأمّلوا عمق معانيه، وسيروا بهَدي خلاصه. إنّه نفحة المسيح الطّيّبة الّتي تُرَقّي الخطابَ بين البشر، بعدَ أن شوّهَتهُ وسائلُ الإعلام الاجتماعيّ بخربشات انحطاطها. إنّ هذه النّفحة هي النّور الّذي يقود خطانا في سبُل الحقّ والمحبّة والرّحمة. إنّها الملح الّذي يطيّب مائدة الشّراكة والأخوّة والعائلة، الكنيسة المصغّرة.

من هنا، وفضلًا عن أنّنا أردنا لثانويّتنا أن تكونَ صرحًا تربويًّا لائقًا، ونظامًا مدرسيًّا محكمًا، ومناهج تعليميّة مثقّفة، ووسائل تكنولوجيّة متطوّرة، وتعليمًا وتعلّمًا ناشِطَينِ مُعاصِرَينِ، فقد أردناها أيضًا مسكنًا للرّوح، ورسالةَ فرحٍ وأخوّةٍ، ونهجَ حياةٍ، تسكبُ العلمَ والحياةَ في كأسٍ واحدةٍ؛ أوَلَم يقل المعلّم الإلهيّ: "جئت لتكون لهم الحياة، وتكون وافرة"؟ (يو ١٠/١٠).

لذا، يطيب لي في هذه المناسبة المباركة أن أدعو أولياء تلامذتنا الأحبّاء إلى أن ينمّوا لدى أولادهم مواهب الرّوح هذه، فيشجّعوهم على القيام بأعمال الخير والمحبّة والتّقوى، وعلى احترام القيّمين على رسالة التّربية والتّعليم، وأن يبنوا مستقبلهم بوعيٍ والتزامٍ، فتنشأ الأجيالُ الصّاعدةُ بروح الحرّيّة المسؤولة والالتزام الكُلّيّ بالواجب المدرسيّ. وهكذا يجدون أسبابًا للعيش برجاءٍ وثباتٍ، لأنّه بالرّجاء يأتينا الخلاص، وبالثّبات نربح أنفسنا ونعمة الوجود.

فليهبْنا الرّبّ الإله، بشفاعة القدّيس مارون، فيض البركات لنتقدّم دائمًا نحو العمق، على الرّغم من الزّمن العابر الّذي نئنّ تحت وطأته. وتَشَفُّعًا إلى قدّيسنا، نرفع معًا الصّلاة قائلين:

"طوبى لكَ أيّها القدّيس العظيم مارون، يا مَن بدلت الحياة الفانية بالحياة الباقية، ذكرك ملء السّماوات والأرض، وعيدك يزهو بالمدائح. فأغنِنا بما أفاض عليك الله، واحفظ شعبك من مِحَن هذا الدّهر. فنرفع معك اسم الله الّذي رفعك، ونؤدّي له المجد والشّكر كلّ آن وإلى الأبد". آمين.

عيدًا مباركًا لكم جميعًا!

غزير، في ٥ شباط ٢٠٢١

الأخت جوديت هارون
رئيسة الثّانويّة